journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X

ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 185–198 تاريخ النشر: 21–12–2022

Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 185-198 Date of Publication : 21-12-2022

التَّعريب في المَغرب والمَشرق العربيَّيْن[1]

Arabization in the arabic Maghreb and the Levant

بقلم: جِيلْبَرْ غْرَانْغِيُوم[2] Gilbert Grandguillaume

الطالب . عبد الحفيظ جباري
rofeida31@yahoo.fr

أ. د. عبد النّاصر بن طنّاش

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة- قسنطينة

تاريخ الإرسال: 2020/08/26 تاريخ القبول: 2022/03/24

الملخَّـــص:

إنّ مسألة التَّعريب بين المشرق والمغرب العربيَّين اسْتَرْعَتْ بال كثير من الدَّارسين، مِن بين هؤلاء المُسْتَعْرِب Arabisant والإِنَاسِيّ Anthropologue **جيلبر غرانغيوم** الَّذي تناول التَّعريب في بلدان المغرب العربيّ في أقطاره الثَّلاثة: تونس والجزائر والمغرب.

وقد تناول خصوصيَّة تجربة التَّعريب في المغرب العربيّ، بوجه لافت في الجزائر الّتي تختلف عن مثيلاتها في تونس والمغرب وفي المشرق العربي. هذا الاختلاف هو نتيجة لسعي الاستدمار الفرنسيّ إلى استبدال الـــمشروع المجتمعيّ السَّائد.

ولقد حصل تعاون بين المشرق والمغرب العربيّ شَابَتْهُ عيوب – حسب المؤلِّف – استنتج أنّ التَّعريب في المشرق العربيّ مختلف عن مثيله في المغرب العربيّ، بوجه خاصّ في قضيَّة البيداغوجيا حيث قدَّر أنَّـــها تقليديَّة مقارنة بالبيداغوجيا المتطوِّرة أكثر في المغرب العربيّ لارتباطها باللُّغة الفرنسيَّة. ليخلُص الكاتب في الأخير إلى أنّ التَّعريب في المشرق قضيَّة تقنيَّة لا غير، أمَّا في المغرب العربيّ وبالخصوص في الجزائر فإنَّه قضيَّة هُوِيَّة وبحث عن تأصيل للذّات في إطار مشروع التَّعريب.

الكلمات المفتاحيّة: التَّعريب، المشرق، المغرب، هُويّة، بيداغوجيا.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 185–198 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 185-198 Date of Publication : 21-12-2022

Abstract :

The issue of Arabization between the Mashreq and the Maghreb has caught the attention of Gilbert Grandguillaume, who dealt with Arabization in the countries of the Maghreb: Tunisia, Algeria and Morocco.

He dealt with the Arabization experience in the Maghreb, particulary in Algeria, which differs from the same in: Tunisia, Morocco and the Mashreq.

There has been a cooperation between the Mashreq and the Maghreb that was marred by defects - according to the author - he concluded that the Arabization in the Mashreq is different from that in the Maghreb, especially on the issue of pedagogy performed in a traditional way. In the end, the writer concludes that Arabization in the Mashreq is a technical issue and nothing else, while in the Maghreb, and especially in Algeria, it is an issue of identity and a search for a rooting of the self in the Arabization project.

Keywords: Arabization, Mashreq, Maghreb, Identity, Pedagogy.

حين تأمُّلنا للتَّبادلات الحاصلة بين المغرب والمشرق العربيَّين نُدرك أنَّ مسألة التَّعريب تَتَبَوَّأ موضعًا مركزيًّا، لأنَّها تُمكّن من تحديد ماهيَّة هذه العلاقات مقارنة بمشكلة أساسيَّة تُصادفها كلّ ثقافة، تلك المشكلة متعلّقة باللُّغة. واللُّغة العربيَّة الّتي تُعَدُّ في الوقت ذاته دليل وحدة و"مرآة هُويَّة" حسب تعبير **عبد الله العروي**[3]، تبوّأت في تاريخ قريب عهده وكذا الحالي منه للمغرب والمشرق العربيَّين، مكانةً هامَّة وخصوصيَّة.

في هذه المسألة ثمّة نقاط ثلاث تسترعي الانتباه:

المدلول المختلِف الَّذي يكتسبه التَّعريب في كلٍّ من المغرب والمشرق العربيَّين، والعلاقات المَرْعِيَّة حِيال تنفيذ التَّعريب في المغرب العربيّ، ودور التَّعريب مقارنة بالوطنيّة Nationalisme.

المدلول المختلِف للتَّعريب في المغرب والمشرق العربيَّين:

إنَّ استخدام كلمة – تَعْرِيب – في سياقات المغرب والمشرق العربيَّين يجعلنا نُسلِّم بأنَّ الأمر متعلّق بمسار واحد؛ لكنَّه ليس كذلك. وبالرُّجوع إلى اللَّفظ العربيّ يتيسّر لنا تحديد معنى العمليَّة:

التَّعْرِيبُ هو لفظ مستعمَل عالميًّا ويُترجم إلى اللُّغة الفرنسيَّة بـــ Arabisation، ومعناه: جَعَلَه (يَجْعَلُه) عربيًّا سواء أتعلَّق الأمر بكلمة أم بواقع. ويتضمّن أيضًا سيرورة التَّرجمة من لغة أجنبيَّة نحو اللُّغة العربيَّة. كما يوجد لفظ **تَعَرَّب** الَّذي يعني صَار (يَصِيرُ) عربيًّا S'arabiser. هذان المَعْنَيَان كلاهما مُمْتَزَجٌ ومُتضَمَّنٌ في الكلمة الفرنسيَّة

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 185–198 تاريخ النشر: 21–12–2022
Date of Publication : 21-12-2022 pages: 185-198 Year: 2022 N°: 03 Volume: 36

Arabisation. مع ذلك، فإنَّ المعنى الأوّل – تَعْرِيب – يَتَوَاءَم بأفضليَّة مع الوضع في المشرق العربيّ، أمَّا الآخِر – تَعَرّب – فيُوافق ما هو الحال عليه في المغرب العربيّ.

التَّعريب في المشرق العربيّ:

يوافق التّعريب في المشرق العربيّ وضعيَّةً محدِّدةً بدقَّة برزت في القرن التَّاسع عشر، حينذاك فإنَّ تجدُّد العلاقات بين المشرق والغرب جعلت العالَم العربيّ يَعِي وجود عالَم معاصر يَتَمَيَّز بِتِقْنِيَّتِه وكذا اختلافه ماديًّا، وظهوره في صورة المتفوِّق عليه في بعض مجالات الحياة، أقلّها مجال التِّقنيَّة الّذي يُمَكِّنه من التَّسَيُّد (التّفوّق) عسكريًّا.

وقد رافق التَّوَعِي باختلاف الآخَر وتفوّقه، توعيًّا بوضعٍ ذاتيّ متميِّز بالثَّبَاتِيَّة (الجُمود) Fixisme والانحطاط Décadence؛ دَفَعَ إلى بروز إرادة تسعى للانتفاع من مكتسَبات هذه الحضارة المختلِفة، من خلال محاولة إدماج هذه المكتسَبات في المجتمع العربيّ، أيْ تعريبها. هذا المسار كان لا بدّ من انطلاقه من اللُّغة عبر إسناد أسماء لهذه الحقائق الجديدة. هكذا تمَّ عرض مشكلة إيجاد كلمات عربيَّة إزاء هذه الحقائق المختلِفة، أيْ كلمات تقنيَّة جديدة: مصطلحات Mustalahât.

لقد ظهر كلّ هذا في سياق يَرْمِي إلى حِيَازَة Appropriation عالَم مختلف. فالتَّعريب في المشرق العربيّ سَيْرُورَة إجماليَّة متمثِّلة في تَوْطِين اللُّغة من خلال حركة التَّرجمة الّتي تُعَبِّـــر عن إرادة انفتاح على حقائق جديدة. إنّ هذا وضع يُشبه المسعى الَّذي تقوم به ثقافة حيّة تزدهر وتَثْرَى من جراء ما يَرِدُها من خارج حَرَمِها الَّذي ستجعله منها، وفي حال الثَّقافة العربيَّة فإنَّها تُعَرِّبه.

برغم تَمَكُّن حركة الانفتاح من تجاوز ما صادفتها من مصاعب، فإنَّ ذلك تَمَّ أحيانًا في ظلِّ معايشة مُقْلِقَة إزاء الوضع وشعور بدُونِيَّة لم تَطُلْ كثيرًا اقتصرت على مجالات محدَّدة ودقيقة، كما أنَّها (أيْ الحركة) لم تكن اِجْتِثَاثًا من الجذور، لأنَّ المجتمع في المشرق العربيّ تَمَكَّن بالفعل من تحقيق مجهود الانفتاح هذا، انطلاقًا من قواعد لغويَّة وثقافيَّة مستقِرَّة. فاللُّغة الأمّ ظلّت هي ذاتها راسخة بمتانة في الحقائق الجهويَّة والمحلِّيَّة.

لقد تركَّز المجهود الأساسيّ على اللُّغة المكتوبة الّتي كانت محصورة في استخدامات دينيَّة وأدبيَّة، فصارت مَعْنِيَّةً بعالَم العلوم والتِّقنيَّة والحقائق الدُّنْيَويَّة.

إنَّ حركة التَّعريب هذه ارتكزت بشكلٍ واسعٍ على معرفة اللُّغات الأجنبيَّة وإجادتها، عبر اعتماد منهجيَّة اعتياديَّة متمثِّلةً في اكتساب التِّقنيَّة باللُّغة الأجنبيَّة ثُمّ القيام شيئًا فشيئًا بنشرها واستخدامها باللُّغة العربيَّة. لكنَّ سيرورة التَّعريب هذه لم تبلغ غايتها في مجموع بلدان المشرق العربيّ.. فإلى عهد قريب، ما استطاعت أيَّة جامعة أنْ تُدَرِّس[4]

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 185–198 تاريخ النشر: 21–12–2022
Date of Publication : 21-12-2022 pages: 185-198 Year: 2022 N°: 03 Volume: 36

المعارف باللُّغة العربيَّة، حتَّى إنّ بعضها تُدَرِّس المعارف إمَّا بالإنجليزيَّة أو بالفرنسيَّة. وتعلّق الأمر عامّة بالقطاعات الأكثر تَمَيُّزاً بالتَّقنيَّة أو العَصْريَّة Modernité: العلوم، الرِّياضيَّات، الطِّب.

من جانبٍ آخَر، نُشير إلى أنَّ حركة التَّعريب هذه الّتي فَتَرَتْ، أُعِيدَ بعثها في المشرق العربيّ بتأثير من جهود التَّعريب المُنجَزَة في المغرب العربيّ. نذكر على سبيل المثال حالة العراق الَّذي أنشأ مؤسَّسات مكلَّفة بالتَّعريب.

من جهة أُخرى، لم يحصل أي تنسيق بتاتًا في هذا المجال. فالمجامع اللُّغويَّة الرَّئيسة ممثَّلةً في القاهرة، دمشق، وبغداد لم تَتَشَاور فيما بينها لإدخال ألفاظ جديدة في اللُّغة العربيَّة.

ومجمل القول إنَّ التَّعريب في المشرق العربيّ حركة ديناميَّة تأسَّست بالتَّأكيد على معاينة هُوَّة الاختلاف والتَّأخُّر الحاصل في المجتمع العربيّ يُقابلها إرادة ساعيَّة لردم هذه الهُوَّة وسدِّها.

إنَّها حركة عصرنة للُّغة وللمحيط، إنَّها إرادة تَتَغَيَّا (أيْ غَايَتُها) استيعاب ما يَرِدُ من جديد وعدم الاقتصار على استخدامه في لغته الأصليَّة.

هذه الإرادة الدِّينامِيَّة الّتي برزت في عهد النَّهضة ضَعُفَت فيما بعد، حينما تُرِكَتْ قطاعات واسعة لسيطرة اللُّغة الأجنبيَّة. لهذا فإنّ عدم إتمام مسعى التَّعريب في المشرق العربيّ هو الَّذي سبَّب مصاعب كُبرى في المغرب العربيّ، وَضْعٌ جعل بُلدانه غير قادرة على أن تَجِدَ ضالَّتها في اللُّغة والثَّقافة العربيَّتيْن بوصفهما مجموعة في وسعها أن تُضَارِعُ ما اكْتَسَبُوه في ظلِّ لغة أجنبيّة.

التَّعريب في المغرب العربيّ

إنَّ مشكلة التَّعريب تُطْرَحُ، بُعَيْدَ نيلها الاستقلال، وفق منظور مختلِف تمامًا في بلدان المغرب العربيّ، لأنَّ التَّعريب في نظر هذه البلدان لا يُعدُّ ضرورةَ معاصَرَةٍ بل هو حاجة أصَالَة أو تأصُّل Authenticité.

هذه البلدان بعد أن تَحَرَّرت من ليل الِاسْتِدْمَار[5] الطَّويل الَّذي تُجُوهِلَتْ في أثناءه شخصيَّتها الخصوصيَّة صار ازدهارها مَكْبُوحًا ومُبَطَّأً. غير أنَّ الجهاز (التَّركيبة) الَّذي وضعه الاستدمار جعلها تَنْفَتِحُ على العالَم المعاصر[6]، لكن في ظلِّ لغة أجنبيَّة؛ ضمن سياق يُثَمِّنُ الحضارة الغربيَّة إلى حدٍّ أقصى. في الوقت ذاته، تمَّ فَصْل المغرب العربيّ عن حَرَكِيَّة تحديث اللُّغة العربيَّة المُؤدَّاة في المشرق العربيّ: ومِنْ هذه اللُّغة لا يعرف إلَّا اللَّهجة أو اللُّغة المحكيَّة أحيانًا، تقف إلى جانبها لغة عربيَّة كلاسيكيَّة تَحْيَا مُمثَّلةً في المصدر القرآنيّ. هذا الوضع نَجِدُه مميِّزًا في الجزائر حيث دام الاستدمار طويلًا وحصل تَفْكِيكٌ مجتمعيّ أكثر شِدَّة وضَرَاوة. في ذاك الوقت، كان المغرب العربيّ مُتَّجِهًا نحو العَصْرِيَّة Modernité، لكن باستخدامه لغةً أجنبيَّة.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 185–198 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 185-198 Date of Publication : 21-12-2022

إن حالة الغصب والسّلب اندرجت في الوقت نفسه ضمن اللُّغة ذاتها وضمن واقع يُكَرِّسُ التَّبعيَّة للاستدمار. لذلك، كان المَسْعَى هو معاودة بعث لغة تُوافِق هُوِيَّةٍ خُصوصيَّة، قصد التَّعبير بواسطتها –أيْ بهذه اللُّغة المُبْتَعَثَة– عمَّا كان يتمُّ، فيما مضى، بواسطة لغة أجنبيَّة. في هذه المرحلة بَرَزَت المعوِّقات على نحو مضاعَف، حيث نجد جهلًا باللُّغة العربيَّة أو على الأقلّ نجد دراية بها محدودة. فاللُّغة الّتي يعرفها النَّاس والمتعامَل بها ليس في وسعها تسيير مجتمع معاصر. ولذلك، فإن ما تَحَقّق من مُنجَزات في المشرق العربيّ في جَانِبَيْه اللُّغويّ والتِّكنولوجيّ ليس في مقدوره أن يُنَافِسَ ما بَلَغَهُ التَّأثير الثَّقافيّ في المغرب العربيّ أو أن يكون بديلًا عنه. لهذه الأسباب جميعًا، سيتمُّ إدراك مسعى التَّعريب في المغرب العربيّ مُقَارَنًا بالعصريّة على أنّه نُكوص، إذ صار السُّؤال: لِمَ تُوجد صعوبة بالغة في استعمال العربيَّة؛ فيما نجِدُ في المقابل، يُسْرًا في استخدام الفرنسيَّة بشكلٍ أفضل؟ الأمر يتعلّق هنا بمُعَوِّق عظيم يتسبَّب في حرمان حركيَّة التَّعريب في المغرب العربيّ من الاندفاع الدِّينامي والتَّقدُّميّ Progressiste بخلاف الحركيَّة المُمَاثِلة لها في المشرق العربيّ.

هذا المُعوِّق هو مبعث التَّساؤل بشأن الدَّوافع المُرَقِّيَّة للتّعريب في المغرب العربيّ والمُشجِّعة له، إنَّها ليست ذات طابع تقنيّ لأنّ العصريَّة جانب تُحقِّقه أساسًا اللُّغة الفرنسيَّة الّتي يتمُّ بوساطتها تسيير الجهاز الاقتصاديّ والإداريّ، وكذلك بواسطتها يتمُّ تدريس المعارف. بالمقابل، فإنّ الحافز الأساسيّ – وهُنَا تظهر حالة الاختلاف الجذريّ الّتي تُمَيِّز وضعيَّة المغرب العربيّ عن تلك السَّائدة في مَشْرِقِه – هو البحث عن شخصيَّة مختلِفة يَتِمُّ الارتباط بها مُنْطَلَقُهَا من التَّاريخ، والثَّقافة والدِّين؛ والمُدْرَكَة على نحوٍ يجعلها في وضع المُقَابِلَةِ للشَّخصيَّة الغربيَّة، لذلك يتعلّق الأمر هنا، على وجه الدِّقَّة، بِمُعَاوَدَة إحلال عنصر أساسيّ ضمن مكوِّنات الشَّخصيَّة المغاربيَّة قام الاستدمار بِبَتْرِه.

اختلافٌ في إدراك التَّعريب والهُوِيَّة

بينما كان المشرق العربيّ قد عايش التّعريب على أنه سَيْرٌ نحو التَّطوُّر، كان المغرب العربيّ يُعَانِي من معايشته للتَّعريب بوصفه حالة تقهقر مقارنة بالمرحلة الّتي بلغها. كان التَّعريب في هذه المنطقة مرتبطًا بالهُوِيَّة وليس بالعصريَّة. في أثناء الاحتلال الأجنبيّ تَكَوَّنَت لدى المغرب العربيّ نظرة مثاليَّة عن المشرق العربيّ. ومِنْ ثَمَّ فقد عَدُّوه مكان الأُمَّة العربيَّة الأصليّ، كَوْنُه المرتكَز لمرجعيَّة الهُوِيَّة الأساسيَّة. ولقد قَوَّى الدَّعم الَّذي قُدِّم إلى حركات التَّحرير في المغرب العربيّ من جاذبيَّة الصُّورة المُرَمَّز لها بشخصيَّة القائد المصريّ جمال عبد النَّاصر.

من جهته، فإنَّ المشرق العربيّ رَعَى صورة للمغرب العربيّ مُخْتَلِفَةً عنه، عَادًّا إيَّاه أقلَّ عروبةً وإسلامًا، وهذا لِسَبَبَيْن اثنيْن:

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 185–198 تاريخ النشر: 21–12–2022
Date of Publication : 21-12-2022 pages: 185-198 Year: 2022 N°: 03 Volume: 36

الأوَّل، مردّه كثرة أعداد السُّكَّان البَرْبَر الَّذين يتحدَّثون لغةً غير العربيَّة، يَظْهَرُون في صورة جُزُرٍ صغيرة اِنْفَلَتَتْ من فِعل التَّعْرِيب–الأَسْلَمَة Arabisation-islamisation. حيث تُؤَكِّد المُعايَنة بقاء هؤلاء السُّكَّان على حالهم، وبذلك صار مسعى التَّعريب مَنْقُوصًا.

أمَّا الآخِر فهو الاستدمار الَّذي بِسَعْيِه لِتَوْسِعَةِ استخدام اللُّغة الفرنسيَّة مَكَّنَ، على نحوٍ ما، من انتزاع العُروبيَّة عنه. لأجل هذه الأسباب المختلِفة، كان التَّعريب يَتَبَدَّى بوصفه شَرْطًا ضِمْنِيًا لكنّه حقيقيّ، احتجَّ به المشرق العربيّ واشترَطه لمعاودة إدماجٍ كاملٍ للمغرب العربيّ داخل [جسد] الأُمّة العربيّة. إنَّ معاودة الإدماج هذه كان بإمكانها لوحدها أن تضمن للمغرب العربيّ هذا الاعتراف بالهُوِيَّة العربيّة الإسلاميّة الّتي كان مَحْرُومًا منها بُعَيْدَ الاحتلال. هذا هو السِّياق الَّذي اِنْدَرَجَتْ ضِمْنَهُ سياسات التَّعريب في المغرب العربيّ.

تجسيد التَّعريب وإسهام المشرق العربيّ:

في سياسات التَّعريب المنفّذة في المغرب وفي تونس بدءًا من العام 1956م ثُمّ في الجزائر ابتداء من العام 1962م، تمّ التَّركيز على قطاع التَّعليم أوَّل الأمر. أمَّا تعريب الإدارة فقد طَرَح مشكلًا عويصًا تمثّل في تعليم اللُّغة العربيَّة للرَّاشدين. و لم تشمل القطاع الاقتصاديّ ترتيباتُ التَّعريب إلَّا في نَزْرٍ يسيرٍ نسبيًّا.

في حقل التَّعليم تمثَّلت الطَّريقة المعتمَدة في مستوى التَّعليم الابتدائيّ في القيام بتعريب السَّنة الأُولى منه بالكامل، ثُمّ تَلَتْهَا الثَّانية فالثّالثة إلى أن يتمَّ بلوغ تعريبٍ تامٍّ (حالة الجزائر)، أو الإبقاء على السَّنوات الأخيرة من التَّعليم مزدوجة اللُّغة.

أمَّا في مرحلتيْ الثَّانويّ والجامعيّ، فقد حَصل التَّعريب في موادٍّ دون غيرها. فأُوْلَى الموادّ الّتي مَسَّهَا هي الموادّ الأدبيَّة. أمَّا الموادّ التِّقنيَّة والعلميَّة فإمَّا أنَّها خُلِّيَتْ جانبًا و لم تُعرَّب أو تَمَّ تعريبها على نحوٍ فيه بُطْءٌ، مع الاحتفاظ بتخصُّصات تُدَرَّس بلغة أجنبيَّة.

إنَّ الحذر المُتَوَخَّى في هذه الخَيارات، وإن كان له مسوِّغات براغماتيّة (واقعيَّة) أَدَّى في الأقل، إلى انتقاصٍ من حظوة القطاع المعرَّب مقارنة بالقطاعات المستبقاة باللُّغة الفرنسيَّة الّتي صارت رمز العصريَّة وحتَّى النَّجاح الاجتماعيّ. هذا الوضع كشف أيضًا عن مشكلة تخلُّف النِّطاق الثَّقافيّ العربيّ في هذه المجالات. و لم يكن لدى أقطار المغرب العربيّ ما يلزم من مُدَرِّسين ولا من كُتُب بيداغوجيَّة لإنجاز عمليَّة التَّعريب.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 185–198 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 185-198 Date of Publication : 21-12-2022

إنْ كانت دَوْلَتا المغرب وتونس قد تَمَكَّنَتا فـــي أثناء الاستدمار من الاحتفاظ ببعض التَّخصُّصات تُدَرَّس فيها اللُّغة العربيَّة، فقد كان للجزائر مُدَرِّسون مُعرَّبون كُوِّنُوا في المدارس القرآنيَّة وفي مدارس خاصَّة. لذلك كان لِزَامًا اللُّجوء في هذا المجال إلى التَّعاون الثَّقافيّ مع المشرق العربيّ.

لقد تَفَاوَتَ المدى الَّذي بَلَغَهُ مسعى اللُّجوء إلى المشرق العربيّ في البلدان الثَّلاثة. ففي أُولَى سنواته، كان على تونس أن تَعتمِد على ذاتها في تحقيق ذلك بفعل علاقاتها الصَّعبة مع المشرق العربيّ، ولأنَّ لديها مواردها الخاصَّة متمثِّلةً في أُطُرٍ بشريَّة مزدوجة اللُّغة ومُعرَّبة.

بعد السَّبعينيَّات بالتَّحديد، تمَّ استقبال عدد محدَّد من المُدرِّسِين المَشَارِقَة في مرحليْ الثَّانويّ والعالي (الجامعيّ). بالموازاة قامت المصالح البيداغوجيَّة التُّونسيَّة بتأليف كُتُبها المرصودة لتعليم العربيَّة، وفق أساليب حديثة.

أمَّا المغرب فقد استقدم في العام 1956م، (34) أستاذًا مصريًّا و(34) معلِّمًا سُوريًّا لدعم عمليَّة إطلاق تعليم مُعَرَّب، ثُمَّ في العام 1961م نَظَّم المغرب المؤتمر الأوَّل للتَّعريب بالرِّباط، تَلَاهُ في العام 1962م إنشاء مدرسة Collège مصريَّة بالرِّباط لتكوين أساتذة في الرِّياضيَّات والعلوم باللُّغة العربيَّة. وفي السَّنة نفسها، أُنْشِيءَ بالدَّار البيضاء معهد عِرَاقِيّ لتكوين أساتذة مُعرَّبين في التَّاريخ والجغرافيا غير أنَّ هذه المؤسَّسات تَمَّ غلقها منذ العام 1963م بفعل تدهور العلاقات بين المغرب ومصر أساسًا، من جراء اتِّخاذ مصر موقفًا لصالح الجزائر في النِّزاع الحدوديّ الحاصل بين البلديْن فيما بعد أنْ تمَّ بعث التَّعاون مجدَّدًا في مرحلة التَّعليم العالي ضمن سياق حسَّاس دومًا لمصادفات الوضع السِّياسيّ.

وفي الجزائر وحَسْبْ، حَصل تعاون مستمِرٌّ ومستَدام مع المشرق العربيّ. ففي أُولَى سنوات استقلالها، تَمَّ استخدام مُدَرِّسِين مَشَارِقَة، معظمهم من المصريِّين في التَّعليم الابتدائيّ. ثُمَّ سرعان ما قامت السُّلطات البيداغوجيَّة مُفَضِلَةً إعفاءهم من هذا القطاع لأنَّ الرَّأي العامّ ما استساغ هؤلاء المتعاونين، فَرَمَوْهُم بِعَدَمِ الكِفَايَة، وهذا زَعْمٌ لا يُمكن تأكيده أو نَفْيُه في واقع الحال. فقد آخَذَهُم الأطفال لكونهم يُحَدِّثُونَهُم بالعامِّيَّة المِصريَّة، لغتهم الأمّ؛ لكن من البديهيّ أنَّ هؤلاء الأطفال ما كان في وسعهم فَهْم الحديث بالعربيَّة الكلاسيكيَّة. والحقيقة أنّ هؤلاء المُدَرِّسِين كانوا غير قادرين على الحديث معهم باللَّهجة الجزائريَّة، وبالأمازيغيَّة ولا بالفرنسيَّة. ثُمّ في نهاية الأمر، آخَذَهُم مُفَتِّشُو التَّعليم الجزائريُّون، آنذاك، كونهم يُعانون من نقص بيداغوجيّ، وهذه نقطة مهمَّة سنتناولها لاحقًا. وبدءًا من سَنَتَيْ 1967 – 1968 على العموم تمّ إعفاء المُدرِّسِين المشرقِيِّين من التَّدريس في الطَّور الابتدائيّ واستُعْمِلُوا في أطوار المتوسِّط والثَّانويّ والجامعيّ. لقد أَضَرَّت كثيرًا نكسة 1967م بِحُظْوَة المشرق لدى المغرب العربيّ. واستمرَّ التعاون، فَحَلَّ محلّ المتعاونين المشرقِيِّين، قدر الممكن، مُدرِّسون وطنيّون معرَّبون.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 185–198 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 185-198 Date of Publication : 21-12-2022

سوء فهمٍ بيداغوجيّ:

لقد كشفت المسألة البيداغوجيَّة وجود اختلاف ثقافيّ بين المشرق والمغرب العربيَّين. فالمفتِّشون الجزائريُّون في التَّعليم الابتدائيّ تلقوا تكوينهم في المدرسة الفرنسيَّة، ضمن نظام بيداغوجيّ هدفه إيقاظ الذَّكاء لدى الطِّفل وجعله مُقْتَدِرًا على الانفتاح على عالَم مختلِف، وتفضيله (أيْ النِّظام البيداغوجيّ) التَّفكير الشَّخصيّ بدلًا من الاعتماد على الحِفْظ تحقيقًا لغاية هي التَّكيُّف مع عالَم دائم التَّبدُّل.

هذا التَّوجُّه البيداغوجيّ–رغم مِثَالِيَّته– أراد المفتِّشون البيداغوجيُّون الجزائريُّون أن يَسْتَنْسِخُونَهُ معتمِدين إيَّاه في تعليم العربيَّة؛ فَعُمِدَ إلى نسخ مختلِف التَّمارين المجعولة في تعليم الفرنسيَّة واستخدامها في تعليم العربيَّة. هذه الصِّبغة الغربيَّة الّتي اصطبغ بها التَّعليم التَّقليديّ للعربيَّة فَطِنَ لـــها المُدَرِّسُون المشرقيُّون. لكنّ الجزائريِّين عَدُّوا أيَّة طريقة خلاف هذه، أسلوبًا باعثًا على النُّكوص والتَّقهقر.

إنَّ البيداغوجيا المعتمَدة في التَّعليم التَّقليديّ للعربيَّة كانت من نوع آخَر، إنَّها بيداغوجيا ترتكز أساسًا على نقل Transmission وَدِيعَةٍ (هي المعرفة) Dépôt يجب المحافظة عليها: مفهوم يشمله اللَّفظ العربيّ **حَفِظَ** الَّذي يعني في آنٍ واحدٍ تَعَلَّمَ وحَفِظ عن ظاهر القلب وكذا حَفِظَ الوديعة وحَافَظَ عليها. فالمُحْتَذَى هو الطَّريقة المَسْلُوكة في تعليم القرآن للصِّغار: فالأمر يتعلَّق بتحفيظهم القرآنَ عن ظاهر القلب، دون الانشغال بتفهيمهم المعنى المتضمَّن، وكَأَنَّ الأثر المرجوَّ والنَّافع لهذه الوديعة يُمكن أن يتجلَّى من تلقاء ذاته لاحقًا[7].

في حالة القرآن، فالأمر يتعلَّق بِتَنَاقُل شعائريّ Rituel ذي طابع تَلْقِينِيّ Initiatique. فالبيداغوجيا Pédagogie كانت مَصُوغَةً وفق النَّموذج نفسه: فالمعرفة شيء يُتَنَاقَل وأنّ أفضل طريقة لامتلاكها (أيْ المعرفة) هي حفظها عن ظاهر القلب، هذا التَّصوُّر لا مثالب فيه في حال كانت المعارف مستقِرَّة، إنّما تزيد مَثَالِبُه في حال التَّغيُّرات. هذه الممارسة الّتي ذكرناها كانت فيما يبدو البيداغوجيا العفويَّة للمُدَرِّسِين المشرقيِّيـــن على كلّ أصعدة التَّعليم. فثمَّة فُلَانٌ أستاذ في الجغرافيا في الجامعة يَمْنَحُ علامةً كاملةً للطُّلَّاب الَّذين يُعَاوِدُون نسخ درسه بالكامل، وعلامة أقلّ لأولئك الَّذين سَهَوا عن جزء من الدَّرس.

ليس الأمر هنا السَّعي إلى توصيف كاريكاتوريّ لسلْكِ المُدَرِّسِين الَّذي كان احتوى، مثل غيره من الأسلاك، عناصره المُقْتَدِرَة وكذا منهم أولئك الأقلّ اقتدارًا، لكنّ ذلك يُشير إلى عمق الاختلاف الثَّقافيّ المتضَمَّن في الممارَسات البيداغوجيَّة.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 185–198 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 185-198 Date of Publication : 21-12-2022

من المحتمل أنَّ بلدان المشرق العربيّ في معظمها بادرت إلى العمل بأسلوب بيداغوجيّ (أسلوب تربويّ) حديث، على النَّقيض من هذا كان المتعاوِنُون المشرقيُّون العاملون في المغرب العربيّ، يُدرِّسُون وفق أسلوب متَّسِم بالتَّقليديَّة. هذه السِّمة أسهمت، دون ريب، في تقويّة مَنْزَع مُتَّبِعِي الطُّرق التَّقليديَّة في التَّعليم المغاربيّ – وبسبب الانقطاع الحاصل مع المشرق العربيّ – إلى الإبقاء على ثقافة عربيَّة جامدة سواء أتعلَّق الأمر باللُّغة أم بالبيداغوجيا.

نشر إيديولوجيَّات مختلِفة

إنَّ من تأثيرات الاستدمار جَعْلهُ المَغَارَبِيِّين[8] (تفريقًا عن المَغَارِبَة[9]) يَسْتَيْقِنُون في قرارة أنفسهم بتفوُّق الثَّقافة الغربيَّة مُطْلَقًا، بَالِغًا حدًّا صَيَّرهُم معدومي الثِّقة في قِيَّمهم الخصوصيَّة. هذا الشُّعور غير الواضح للمعنيِّين أحيانًا، كان متجلِّيًا بوضوح للمدرِّسِين المشرقيِّين الَّذين أدركوه. ومهما كانت درجة اقتدار هؤلاء المُدرِّسِين المشارقة أو كِفَايتهم، كان الحُكم عليهم أحيانًا يَتِمُّ بالنَّظر إلى مدى اندماجهم في الثَّقافة الغربيَّة إلى درجة أن سارع بعضهم إلى تعلُّم الفرنسيَّة بعد ما لاحظوا أنَّ جهلهم بهذه اللُّغة، يجعلهم في نظر الإدارة الجزائريَّة (على الأقلّ في نظر بعض مُوظَّفيها) يَنِمُّ على كونه إشارة إلى حالة تخلُّف عميقة. وكانت ردَّة فعلهم تأكيدًا جليًّا على هُوِيَّتهم العربيَّة، الّتي يَتَأَوَّلها المغاربِيُّون أحيانًا على أنَّها تَعَاظُم وعَجْرَفَة.

إنَّ سوء الفهم هذا وما بَلَغَهُ من عمق هو الَّذي يُعدُّ مهمًّا لإدراك الثَّقافتيْن كلتيهما وكذا فهم جوهر التَّعريب، إذ لم يُدْرَسْ بكفاية لأنَّه من العسير الحديث بشأنه.

إنَّ رَدَّة فعل المُدرِّسين المشرقيِّين كانت مختلِفة، غير أنَّها في بعض الحالات، اتَّخذت شكلًا عنيفًا وعُدوانيًّا، إلى درجة اتِّهام التَّلاميذ كونهم غير عَرَبٍ بِكِفَايَة وغير مُسْلِمِين بكفاية؛ ومُتَّخِذَةً أحيانًا شكلًا اِسْتِنْطَاقِيًّا Inquisitoriale للتَّشهير، من خلال الأطفال، بالمُمارسات السَّيِّئة لأوليائهم وبمحيطهم الَّذي يَحْيَوْنَ فيه مثل: شُرب الكحول، التَّحدُّث بالفرنسيَّة، ارتداء ملابس غير محتشَمة، العُزوف عن لبس الحجاب، ...

وهناك كثير من المغاربِيِّين (الرَّاشِدين) يظنُّون أنَّ النَّجاح الَّذي حقَّقته الحركات التّماميّة أو الأُصُولِيَّة[10] Mouvements intégristes في أوساط شريحة من الشُّبَّان كان ناتجًا من مثل هذه التَّأثيرات.

وقد كان من ضمن هؤلاء المُدرِّسِين، بالطَّبع، بعض المناضِلين لصالح القضيَّة العربيَّة. ولن نُحاوِل هنا أن نُجري تقييمًا كَمِّيًّا لذلك لكن في حقيقة الأمر وُجِدَتْ حركة للدِّعاية والتَّبشير بما لا يدعو للشَّكِّ، فُعِّلَتْ في اتِّجاهيْن اثنيْن.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 36	العدد: 03	السنة: 2022	الصفحة: 185–198	تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36	N°: 03	Year: 2022	pages: 185-198	Date of Publication : 21-12-2022

* أحدهما التَّرويج للتيَّارات التَّمَامِيَّة المرتبطة بحركة الإخوان المسلمين أو غير مرتبطة بها، ... إنَّها تُقابِل تَمجيدًا وتعظيمًا، إلى حدِّه الأقصى، للممارسة الدِّينيَّة المتشدِّدة يُوازيها تشهير على نحوٍ صارم بأشكال الارتشاء (تعاطي الرّشوة) والـــجَوْر (الظُّلم) الاجتماعيّ الـــمرتبطة بالنُّموّ وبنشاط الدَّولة.

* أما الاتِّجاه الآخَر فمتعلِّق بالوطنيَّة العربيَّة في النَّموذج البعثيّ (القوميّ) الَّذي يُحرِّكه المتعاونون العراقيُّون (وأحيانًا السُّوريُّون) حيث كان نَازِعًا في اتِّجاه جعل البلد متطبِّعًا بطابع عربيّ راديكاليّ. فقد كان مؤسَّسًا على إيديولوجيَّة نضال الأُمَّة العربيَّة الَّذي أظهر عداوةً شديدةً إزاء التَّواجد الثَّقافيّ الغربيّ واتِّجاه آثار النَّزعة الجِهويَّة Régionalisme المُمَثَّلة في اللَّهجات وبالخصوص اللَّهجات البربريَّة (الأمازيغيَّة) البعيدة جدًّا عن العروبة.

إنّ هذيْن الّتياريْن التّماميّ أو البعثيّ لم يكن لهما تمثيلٌ إلَّا لدى المتعاونين المشرقيِّين، وكان هؤلاء يُشكِّلون قُوَّة مُعاونة وأحيانًا قُوَّة مُحَرِّضة لجزائريِّين مؤيِّدين لهذيْن الّتياريْن بفعل عدوى على صعيد محلِّيّ (في الجزائر) ناتجة عن تقليد عفويّ أو من جراء تأثيرات حصلت حين إقامتهم بالمشرق العربيّ. وزادت أهمِّيَّة هذيْن الّتياريْن لكون ممثِّليهما يشغلون وظائف مُدَرِّسين، وهو وضع مكَّنهم من التَّأثير في الشُّبان. وعليه، يَسَّرَت سياسة التَّعريب الّتي انتهجتها دول المغرب العربيّ من انتشار هذيْن التَّيَّارَيْن[11].

التَّعريب والوَطَنِيَّة (النَّزعة الوطنيَّة)

إن مسألة التّعريب تطرح مشكلة طبيعة المجتمع العربيّ. هناك تصوُّر قديم، أعاد إحياءه في العهد المعاصر، التَّيَّار البعثيّ مُفاده أنَّ مجموع العالَم العربيّ يُعَدُّ أمَّةً واحدة لها مرجعيَّة متمثّلة في تاريخ ولغة مشتركيْن. أمَّا الواقع السِّيَّاسيّ الحالي فَسِمَتُه وجود أُمَمٍ متباينة ومنقسمة وأحيانًا متعارضة. بَيْدَ أنَّه يتعيَّن عدم تجاهل الأثر الرَّمزيّ المهمّ لدى الرَّأي العامّ العربيّ لقضايا مثل الوحدة الّتي تُحيل إلى ميزة أساسيَّة تُميِّز الهُوِيَّة. وعليه، فإنَّ النَّجاحات السِّيَّاسيَّة الّتي حقَّقها العالَم العربيّ بدءًا من العام 1974م عايشها، فيما يبدو، السُّكَّان المغاربيُّون غير المرتبطين كثيرًا بالمشرق، عَادِّين إيَّاها مفخرة. أمَّا تدخُّلات الغرب بإفراط في الشُّؤون الدَّاخليَّة أو ما له علاقة بمسألة إسرائيل، فثمَّة تَحسُّس عربي دوليّ حيّ للغاية بمعزل عن تصرُّفات الدُّول.. إنّ مطلب التَّعريب يتوافق مع التَّأثريَّة العربيَّة لدى الرَّأي العامّ المغاربيّ تَتَمَفْصَل بقوَّة حول وعي بالهُوِيَّة الإسلاميَّة: فالهُوِيَّة في الواقع مستوعَبة في المغرب العربيّ في مكانيْن من اللُّغة:

الأوَّل: متعلِّق بلغة الأمّ (العربيَّة أو البربريَّة) الّتي يقوم الفرد ضمنها بنسج الصِّلات الأكثر عمقًا مع مجموعته الأصليَّة المنتمي إليها ألا وهي العائلة، ثُمَّ تشمل بَعْدَهَا دوائر أكـــثر اتِّسَاعًا.

المكان الآخَر: هو ذلك المتعلِّق باللُّغة العربيَّة بوصفها لغة القرآن الحاملة للهُوِيَّة الإسلاميَّة.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 185–198 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 185-198 Date of Publication : 21-12-2022

إنَّ اللُّغة العربيَّة العصريَّة الّتي تسعى سياسات التَّعريب لفرضها تظهر في طور وسيط في المغرب العربيّ، تَتَرَاءَى اللُّغة العربيَّة وكأنَّها ندٌّ غير مُضَاهٍ (غير مُكَافِئ) للُّغة الفرنسيَّة. كما أنَّها مُدْرَكَة بوصفها لغة تُحاول أن تفرض نفسها في الاستعمال اليوميّ، بواسطة وسائل الإعلام بالنِّسبة إلى الدُّول، فإنَّها لغة يجب أن تُكَرِّسَ شرعيَّتها (أيْ الدُّوَل) بأَنْ تَنْأَى بها عن مظهرها وأصلها الغربيِّين، وتجعلها تنال حُظْوَتَها من الشَّرعيَّة الوحيدة المعترَف بها، تلك المرتبطة بالإسلام. ولنا أن نلحظ في كلِّ هذا إلى أيَّة درجة كان المغرب العربيّ ضحيَّة إحساسه بالخطإ كونه مستعمَرًا سابقًا.

إنَّ المشرق العربيّ لديه إزاء هذه المشكلات، موقفًا أكثر براغماتيَّة، غير مَشُوب باعتبارات سياسيَّة أو ثقافيَّة. فاللَّهجة في كلِّ بلد مستعمَلة بشكلٍ واسعٍ، حتَّى في التَّعليم. أمَّا العربيَّة الحديثة فَمُخَصَّصةٌ لاستعمالها في الكتابة أو في الرَّسميَّات. وثمَّة لغة أجنبيَّة (الإنجليزيَّة أو الفرنسيَّة) تُيَسِّر الحفاظ على الاتِّصال بالتِّكنولوجيا والعِلم العصريّيْن. بخلاف ذلك، فإنَّ المغرب العربيّ يَجِدُ صعوبةً بالغةً في التَّعامل مع لهجاته خصوصًا في المغرب والجزائر، حيث توجد طائفة مهمَّة من السُّكَّان يتحدَّثون الأمازيغيَّة. هذه اللَّهجات يُحْظَرُ استعمالها حتَّى وإن تعذّر الأمر فعليًّا في الواقع. ويُجْهَل دور التَّأثيل (التَّأصيل) الأساسيّ لهذه اللَّهجات.

إنَّ اللُّغة العربيَّة المعاصرة مطبَّقة بمشقَّة مع انعدام تحديد دقيق لوظيفتها الحقيقيَّة. ثُمّ إنّ محاولة إحلالها محلَّ اللُّغة الفرنسيَّة، يُقابله قِلَّة التَّحفُّز لذلك، مضافًا إلى أنَّها تصطدم ليس فقط بمصاعب متعلِّقة بمعرفة اللُّغة، بل هناك نَقص في شموليَّة التَّعريب لكافة العالم العربيّ[12].

ختامًا، يتمُّ استعمال اللُّغة الأجنبيَّة واسعة الانتشار في سياق من الحرج والإنكار وكأنَّه أمر مُخْزٍ[13].

فالمغرب العربيّ لا يَجْرُؤُ، دون شعوره بعُقدة على محاكاة ما يفعله المشرق العربيّ باستعماله البراغماتيّ (الواقعيّ) لتعدديَّة لغويَّة سِمتها المرونة. إنَّ تشدُّده يجعله في وضع صعب مقارَنًا بالمشرق العربيّ الَّذي عرف كيف يَسْتَنْهِضُ وعيه للقيام بواجب التَّعريب الَّذي كاد أن يَفْتُر.

وخلاصة القول إنَّ التَّعريب في المشرق والمغرب العربيَّيْن يتوافق مع حركتيْن مختلِفتيْن: إحداهما متطوِّرة والأُخرى متقهقرة، ففي المغرب العربي تكفّلت الدُّول بالتَّعريب في البدء تحقيقًا لحركة بناء الوحدة الوطنيَّة لكن تَبَيّن، بفعل تنقُّل الأشخاص وكذا الأفكار، نُزوع التَّعريب إلى الانفلات من تأثير الدُّول، ونشوء شبكة تُرَدِّدُ ضمنها الدَّعوات للوحدة العربيَّة وتلك الرَّافضة للغرب. هذا البعد الجديد لا يُفضِي بهذه الدُّوَل إلى الاطمِئْنان حين ترى انفلات وسيلتها الممتازة من أيديها. وإذا ما حُرِمَتْ من هذه الورقة الرَّابحة تظهر هذه الدُّول بمظهر تركيباتٍ وبِنْيَاتٍ

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 185–198 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 185-198 Date of Publication : 21-12-2022

مُغَرَّبَة Structures occidentalisées، أجنبيَّة عن جوهر العالَم العربيّ، وهذا لأنَّ سياساتها التَّنمويَّة لم تستطع تحقيق إدماجٍ لمجموع السُّكَّان.

إنَّ التَّعريب تَكَفَّلَتْ به تيارات متعارِضة تَمَامِيّة أو بَعْثِيَّة. وهكذا، فإنَّ التَّعريب المرجوّ من طرف دول المغرب العربيّ لتحقيق لُحْمَة الكَيْنُونَات الوطنيَّة Entités nationales المُجَزَّأَة قاد في الحقيقة إلى الانفتاح على الإيديولجيا العربيَّة الدّوليّة والارتباط بمجموع عربيّ وإسلاميّ يترع إلى الطَّعْن في شَرْعِيَّة هذه الدُّول المُصْطَبَغَة إلى حدٍّ مُفْرِط بالغُرُوبيَّة Occidentalisme.

لقد أَعْيَتْ هذه الحركات الدُّولَ فاسْتَعْصَتْ عن التَّحكُّم فيها مُؤَكِّدَةً أحقيَّتها في الأمر، لذا فقد يقود هذا الوضع الدُّول إلى وجوب انتهاج الطَّريقة المشرقيَّة في التَّعريب، المُؤَسَّسَة على التَّعدُّديَّة اللُّغويَّة وأن تُقَدِّر بواقعيّة أكثر الأماكن استحقاقًا للهُويِّة الوطنيَّة.

الهوامـــش:

[1]– تفضَّل كاتب المقال بأن عَرَضَ عَلَيَّ قراءة ترجمتي لمقاله، فوافقت. وقد أبدى رضاه عن التَّرجمة برغم إقراره بصعوبة متن النَّص، كما أَرْفَقَ ردَّه بملاحظاته الّتي وافقته في بعضها واختلفتُ وإيّاه في بعضها الآخر..

المقال الأصليّ باللُّغة الفرنسيّة بعنوان:

L'ARABISATION AU MAGHREB ET AU MACHREK, Gilbert Grandguillaume,
Référence : Les relations entre le Maghreb et le Machrek, Des solidarités anciennes aux réalités nouvelles. Cahiers du GIS « Sciences humaines sur l'aire méditerranéenne », Cahier N° 6, CNRS, Institut de Recherches Méditerranéennes, Université de Provence, 1984, p. 151 – 157. Le lien : https://www.ggrandguillaume.fr/titre.php?recordID=38

[2]- **Gilbert Grandguillaume** est né le 25 juillet 1932 à Besançon (France). A partir de l'âge de vingt ans, il a passé de nombreuses années dans des pays de langue arabe: Tunisie, Algérie, Liban. Il est aujourd'hui retraité de l'Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales, où il a animé un séminaire d'anthropologie du monde arabe et dirigé des mémoires et des thèses de doctorat. Il a publié deux livres, NEDROMA, L'EVOLUTION D'UNE MEDINA et POLITIQUE LINGUISTIQUE AU MAGHREB, ainsi que de nombreuses contributions et articles mentionnés sur ce site: https://www.ggrandguillaume.fr/

[3]– يُعدُّ المفكِّر والمؤرِّخ المغربيّ **عبد الله العرويّ** أحد أكثر المفكِّرين العرب المعاصرين إثارةً للجدل، وتَميَّز بخلاصته حول "القطيعة المعرفيّة" مع التُّراث العربيّ والإسلاميّ وانشغل بهُموم الحداثة وإشكاليّات النّهضة العربيّة.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 185–198 تاريخ النشر: 21–12–2022
Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 185-198 Date of Publication : 21-12-2022

وُلد **العرويّ** في مدينة أزمور (1933) ودرس في مدارس الرِّباط وأكمل تعليمه في جامعة السُّوربون (فرنسا) في معهد الدِّراسات السِّياسيّة (باريس). حصل على شهادة العلوم السِّياسيّة عام 1956 وعلى شهادة الدُّكتوراه عام 1976 عن أطروحة تحت عنوان "الجذور الاجتماعيّة والثّقافيّة للوطنيّة المغربيّة: 1830 – 1912"، وهو عضو الأكاديميّة الملكيّة في المغرب وفي المجلس الاستشاريّ لحقوق الإنسان.

[4]– لا أدري كيف فات الكاتب أن يذكر المُنْجَز السُّوريّ في تدريس العلوم الطِّبِّيّة باللُّغة العربيَّة، وفي العراق وفي السُّودان (المترجم).

[5]– اِشْتُهِرَ على لسان **مولود قاسم نايت بلقاسم** رحمة الله عليه. وقد رأى كاتب المقال أن أستخدم مصطلح "الاستعمار"، فرأيتُ بدوري أنّ هذا المصطلح الأخير الّذي يحمل في طيّاته شحنة إيجابيَّة مثلما تُشير إليه الآية الكريمة رقم 61 من سورة **هود**، أرجو الاطّلاع على مقال: **دلالة الاستعمار في القرآن الكريم: محمد شركي**، على الرّابط: http://www.oujdacity.net/international-article-26303-ar/international-article-26303-ar.html.

أما الاستدمار فأصله فعل دَمَرَ، ومنه (دَمَارٌ: أيْ خَرَابٌ وهَلَاكٌ: مثلُ: خلّف الزِّلزال وراءه الخَراب والدَّمارَ (عن **معجم المعاني**: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%AF%D9%85%D8%B1%D8%A7/)، أُلْحِقَتْ به أحرف ثلاثة هي: الألف والسِّين والتَّاء الّتي تُفيد إن أُدخلت على الفعل الثلاثيّ: **الطَّلب والصَّيرورة والأخذ والجَعْل** (المترجم). ونُقدِّم مثالًا يدعم فكرتنا ذكَرَتْهُ **زفنكي، صافية**. (**2010**). **المناهج المصطلحيَّة: مشكلاتها التّطبيقيّة ونهج معالجتها**، دمشق، سورية: منشورات وزارة الثّقافة، الهيئة العامّة السُّوريَّة للكتاب، ص. 93: **"مِن ذلك أنّ هناك مصطلحات لم تُرَاعِ الدِّقَّة عند الاستعانة بالمصطلح التُّراثيّ، وقد أدى هذا إلى سوء فهم، مِنْ مثل، مصطلح "الأُصُوليَّة" الّذي يتناقض مفهومه عند كلّ من العرب والغرب، فأحدَثَ التباسًا بين المفهوميْن المعاصر والتُّراثيّ، فمصطلح الأُصوليَّة Fundamentalism يعني عند الغرب فرض هيمنة وسيطرة نموذج ثقافيّ، في حين أنّ الأُصوليّ في المجال الثّقافيّ العربيّ الإسلاميّ هو المشتغِل بوضع المناهج والضّوابط واستخراج القواعد الكُلِّيّة عن طريق استقراء الأدلّة المختلِفة، إذ تَغِيبُ هذه المضمونات الحقيقيّة عن التّداول العامّ تحت توجيه القوى ووسائل الإعلام الدِّعائيّة للمجتمعات الغربيّة."**

[6]– نُشير إلى أنَّ الاستدمار لم يكن قصده من هذه التَّركيبة خدمة بلدان المغرب العربيّ لذاتها بل خدمة مشروعه الاستيطانيّ الاستداريّ (المترجم).

[7]– بالفعل هذا هو المرجوّ من تحفيظ القرآن في سِنٍّ صغيرة، فعلاوة على الالتزام الدِّينيّ المُرْتَجَى من حفظ القرآن، فإنّ مِنْ غاياته استقامة اللِّسان واقتداره على نُطْق حروف اللُّغة العربيّة جميعًا، إلى جانب غيرها من المَزَايا. مضاف إلى ما أسلفتُ، فإن مترجم المقال وقف على تجربة متواضعة خاضها مفادها باختصار أنّ حفظ القرآن في الصِّغر أيسر على الفرد من حفظه وهو كبير، كذلك فإنّ ضبط الأحكام وإجادة التِّلاوة تكون تَالِيَةً لحفظه، ولا يُمكن في رأيي المتواضع السَّعي في حفظ القرآن والإحاطة بأحكام تلاوته معًا وفي آن واحد وسَوِيَّةً وهو في سِنٍّ كبيرة، فإن هذا الأمر شاقٌّ على مَنْ سعى فيه، و لم أرفعه إلى درجة الاستحالة، لذلك ليس غريبًا – من وجهة نظري – أن يَفُوتَ أمر كهذا هذا الكاتب ويَسْتَغْرِبَه وهو في استغرابه ليس وحده فكذلك هناك من بَنِي جلدتنا مَنْ يقع في مثل هذه الحال (المترجم).

[8]– **المغاربيُّون** جمعٌ مفرده **مَغَارِبِيٌّ** وهو واحد من سُكّان المغرب العربيّ الكبير. على الرَّابط: معجم المعاني https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%85%D8%BA%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D9%8A/https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%BA%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D9%88%D9%86

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X

ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 36 العدد: 03 السنة: 2022 الصفحة: 185–198 تاريخ النشر: 21–12–2022

Volume: 36 N°: 03 Year: 2022 pages: 185-198 Date of Publication : 21-12-2022

[9]– مَغْرِبِيٌّ جمعُه **مَغَارِبَة** هو أحد سُكّان المغرب، أو من بلاد المغرب (معجم المعاني:
https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D9%91/

[10]– أسلفتُ الـــحديث عن مصطلح (الأصوليّة) ومدلوله في ثقافتنا وفي الكِتابات الغربيّة، يُنظر حاشيّة الصَّفحة 5 من هذا الـــمقال.

[11]– هذا كلام يتضمن مغالَطات، إذ أنّ ربط التّعريب بانتشار هذيْن التَّيَّاريْن ليس حتميًّا. وقد يَتَكرّس لدى كلِّ مُطّلِعٍ على هذا المقال أنّه حيثما يُوجد تعريب فإنّ ذلك سيُؤَدِّي حتمًا إلى وجود تَطَرُّف ودعوة إلى التَّيَّاريْن اللّذيْن ذكرهما الكاتب. كان من الأجدر بالكاتب أن يُقيِّد إطْلَاقَاتِه هذه بأن يَعْزُو الدَّعوة إلى التَّيَّاريْن المذكورَيْن أو غيرهما، كانت من مُنطلَقٍ فرديّ وشخصيّ بَادَر بها بعضٌ من هؤلاء المُتعاوِنين أو جُلُّهم من تلقاء أنفسهم، خلافًا لحالة التَّعميم الّتي ذهب إليها الكاتب (المترجم).

[12]– في هذه الفِقرة مُغَالَطات أُخرى. لم يسأل الكاتب نفسه ما أسباب قِلّة التَّحَفُّز؟ **وهل يحتاج استعمال لغة الأمّ في أيّ مجتمع إنسانيّ على وجه هذه الأرض إلى مسوِّغات؟** الصُّورة العكسيَّة هي الّتي تُعَدُّ غير طبيعيّة وبالتّالي هي في حاجة إلى مُبَرِّرَات.

إنّ الكاتب بشكلٍ من الأشكال يَتَهَرَّب من الإقرار بحقيقة هي أنّ التّعريب في أقطار المغرب العربيّ، وُضِعت قَصْدًا دونه صِعابٌ ومعوِّقاتٌ حالتْ وما تزال تَحُولُ – إلى يوم النّاس هذا – دون إتمامه على وجهه القويم الّذي يُحقِّق المرجُوّ منه. فهناك أشياء تَجاوزها الكاتب و لم يذكرها هي عناصر هامّة حالت على نحوٍ من الأنحاء أن يتمَّ التَّعريب بشكله الّذي يُكرِّس العربيَّة لغةً سيِّدة في مختلف الأقطار العربيَّة. وانعدام حصول ذلك لَهُوَ دَالٌّ على أنّ الاستدمار ما يزال حاضرًا في هذه الأقطار إلَّا أنه غَيَّرَ إهَابَه (غِلَافَه ومظهره). (المترجم).

[13]– لأنّ الوضع الّذي تَحيَاهُ في أقطارها غير طبيعيّ هو الّذي ولّد هذا الشُّعور الطَّبيعيّ (الشُّعور بالخِزْي)، فالأَوْلَى أن تُستخدَم اللُّغة العربيَّة لا اللُّغة الأجنبيَّة أيًّـــا كانت هذه اللُّغة (المترجم).

المراجـــع

- LACHERAF, M. (1965). **L'Algérie, nation et société**. Paris: Maspero.
- MAZOUNI, A. (1969). **Culture et enseignement en Algérie et au Maghreb**. Paris: Maspero.
- PERES, H. (1985). **L'arabe dialectal algérien et saharien**. Alger: La maison des livres.
- BENRABAH, M. **Langue et pouvoir en Algérie: Histoire d'un traumatisme linguistique**. Seguier.
- TALEB IBRAHIMI, K. **Les Algériens et leur(s) langue(s)**. Alger: éditions El-Hikma.